



تحقيقات الأزمة السورية تنعكس على برامج إعمار الرقة

ترجمات



نشر موقع (IRIN News) المختص بالأزمات الإنسانية مقالا تحليلياً تناول فيه الباحث أرون لوند مسألة إعادة إعمار الرقة بعد طرد تنظيم "داعش" من عاصمة "خلافته" على يد قوات سوريا الديمقراطية "قسد" التي يغلب عليها المكون الكردي المتمثل في وحدات حماية الشعب وحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، والمدعومة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.

وتطرق لوند إلى الأوضاع الخطرة بالمدينة بفعل انتشار الألغام، وخضوع مجلسها المدني للوحدات الكردية، ومسألة إعادة الإعمار على ضوء زيارة السبهان للمنطقة، مؤكداً أن ذلك لا يمكن أن يحصل في ظل استمرار هيمنة الجناح السوري لحزب العمال الكردستاني على المدينة، إذ لن يقبل الأتراك "العنيدون" بهذا الوضع، يضاف إلى ذلك علاقة الوحدات الكردية بالنظام السوري والتي لا يمكن تصحيحها في الوقت الحالي، مما يعرقل فرص تمويل بعض الدول الخليجية لمشاريع إعادة الإعمار.

وأشار الكاتب إلى تسابق الجهات المعنية لإعادة تأهيل الرقة التي تحولت إلى مدينة أشباح يفتريها الخراب والقنابل غير المنفجرة؛ فدوار "النعيم" وسط الرقة أصبح رمزا لحكم داعش حيث كانت دعاية التنظيم المتوحشة تسعد برفع الرايات السوداء على الجثث المصلوبة والرؤوس المقطوعة في تلك البقعة التي أصبحت أعلام "قسد" ترفع مكانها.

وبالنسبة لقوات سوريا الديمقراطية "قسد" وحلفائها فإن السيطرة على الرقة علامة نصر ومناسبة عظيمة للاحتفال، لكن أهل المدينة لا يشاركون "قسد" احتفالاتهم، بعد أن هجروا المدينة التي تحولت إلى أنقاض عقب 135 يوماً من القصف والقتال، حيث أكد المتحدث الإعلامي لميلشيا "قسد" بيروار محمد علي: "لا نستطيع مطالبة المدنيين بالعودة إلى المدينة نتيجة الأخطار المحيطة في كل مكان".

مدينة لا سكان فيها

ووفقاً لتقرير منظمة "أير وارز" التي تراقب قصف قوات التحالف في سوريا والعراق وليبيا؛ فإن التحالف قد أسقط نحو 20 ألف مقذوفة على الرقة منذ بدء المعارك في شهر يونيو الماضي، وفي شهر أغسطس وحده تم قصف المدينة بمقذوفات يزيد عددها أكثر من عشرة أضعاف تلك التي تم إلقاؤها على أفغانستان، وبلغ عدد الخسائر في صفوف المدنيين نحو 1800 قتيل، رغم أن التحالف الدولي ينفي صحة هذه الأرقام.

ونقل التقرير عن مسؤول أممي قوله إن ما لا يقل عن أربع أخماس المدينة قد أصبح غير صالح للسكن نتيجة الدمار المادي، ووجود الذخيرة غير المنفجرة وانقطاع الماء والكهرباء، في حين تؤكد مصادر الأمم المتحدة أن أكثر من 312 ألف مواطن قد فروا من محافظة الرقة، وهناك الكثير من سكان المدينة عالقين في مخيمات تقع في مناطق سيطرة قسد بريف المحافظة الشمالي، يعيشون في ظروف مزرية.

وحذرت منظمة "أنقذوا الأطفال" أن الكثير من النازحين قد يمكثون في هذه المخيمات المؤقتة "لعدة أشهر وربما عدة سنوات"، وأكدت كريستي ديلافيلد المتحدثة باسم منظمة "ميرسي كوربس" الإغاثية أن العامل الأهم في هذا الوقت من العام هو الطقس واقتراب فصل الشتاء، مشيرة إلى أنه: "لا أحد يود أن يمضي الشتاء تحت سقف الخيام". لكن الأمم المتحدة تقوم بتوزيع عدة الشتاء على اللاجئين بما في ذلك: المواد العازلة للبرد، والفراش، والأغطية العازلة للمطر، والمدفئات.

قنابل تحت حطام المدينة

وأشار التقرير إلى أن الوضع الأمني في المدينة لا يزال متفلاً؛ حيث تعتقد مصادر "قسد" أن مقاتلي داعش لا يزالون مختبئين داخل الرقة، حيث تم القبض على

بعض قناصيهم، في حين تنصب جهود "قسد" على تطهير المدينة من الألغام "داعش" ومن القنابل الأمريكية التي لم تنفجر، خاصة وأن تسعة من العوائل التي حاولت العودة للرقة فقدت بعض أفرادها نتيجة الألغام الأرضية المتناثرة هنا وهناك.

ووفقاً للتعهد أديران رانكين غولاويه أحد متحدثي البنتاغون، فإنه من المهم توعية السكان المحليين بالجهود التي يتم بذلها للتخلص من الألغام والمتفجرات، وضمان عدم اقترابهم من تلك المناطق حتى لا يصابوا بالأذى، وحينما تنتهي عملية التخلص من الألغام، ستمثل عملية إعادة الإعمار وإدارة المدينة تحدياً أساسياً.

مجلس الرقة المدني

وكانت قوات سوريا الديمقراطية قد تعهدت بتسليم السلطة إلى "مجلس الرقة المدني" الذي تم تشكيله في عين عيسى في شهر أكتوبر الماضي، وبخلاف الصورة التي فرضها تنظيم "داعش"؛ تقوم رئاسة المجلس على أساس الموازنة بين الرجال والنساء، حيث تم تشكيل قيادة مشتركة بين ليلى مصطفى -وهي كردية من تل أبيض- ونظيرها العربي محمود البرصان العضو السابق في مجلس الشعب السوري وزعيم عشيرة "الولده" المتنفذة في الرقة.

وتأتي تلك التشكيلة على ضوء رغبة "قسد" في استقطاب شخصيات عشائرية لكسب التأييد العربي، حيث عملت بهذه الطريقة شمال شرقي سوريا، وكانت ليلى مصطفى قد شاركت في مجلس مشابه بتل أبيض ذات الأغلبية العربية حينما تحررت من قبضة داعش (2015)، لكن خضر خضور من مركز "كارنيجي" قد حذر بأن مدينة الرقة أكبر من تل أبيض بعشر مرات ويختلف فضاؤها الاجتماعي عن أية حالت سابقة تعاملت معها قوات "قسد".

ووفقاً لخضور فإن عدد سكان المدينة: "يبلغ حوالي 200 ألف نسمة، بينهم طبقة متوسطة متعلمة وتجار يعملون باستقلالية عن انتماءاتهم العشائرية، ولذلك فإنه سيكون من المتعذر لأية هيئة حكم محلية شرعية أن تعمل دون إدماج هذه الطبقة المتوسطة كبيرة الحجم"، خاصة وأن الفصائل الكردية -التي تهيمن على قوات سورية الديمقراطية- قد واجهت مصاعب سابقة في التعامل مع النخب المثقفة في مدن كالقامشلي التي تقف تحت سيطرتهم منذ أكثر من خمس سنوات، ولم يعد خافياً أن الكرد هم القوة الحقيقية التي تقف خلف "مجلس الرقة المدني"، وأنهم مرتبطون بحزب العمال الكردستاني الذي يقاتل الحكومة التركية منذ عقود.

وقد تم عرض صورة ضخمة لمؤسس حزب العمال الكردستاني عبدالله أوجلان على دوار "النعيم"، في أجواء احتفالية قادتها مجموعة من المقاتلات الكرديات اللواتي وهبن نصرهن لمرشدهن أوجلان، ولم يعد مجال للشك بأن مجلس الرقة -كبقية مجالس شمال سوريا- يخضع بحكم الواقع لسيطرة حزب العمال الكردستاني "بي كي كي".

سياسات إعادة الإعمار

وأشارت الدراسة إلى أنه على الرغم مما يعرف من تشدد لدى فرع حزب العمال الكردستاني في سوريا من تشدد في إدارة المناطق التي يسيطر عليها، إلا أنهم قد أثبتوا جدارة أكبر من فصائل المعارضة السورية، لكنهم يفتقرون إلى التمويل والكوادر المؤهلة لإدارة برامج إعادة الإعمار من تلقاء أنفسهم.

ولذلك فإنه سيتوجب على "قسد" الاعتماد على حلفائهم من الخارج لتمويل إعادة إعمار الرقة، الأمر الذي سيمثل تحدياً كبيراً لأن تركيا ترفض تدفق البضائع والمعدات لهم عبر حدودها.

وعلى الرغم من تشوق المجتمع الدولي للنهوض بمجلس الرقة وتطهير المدينة من الألغام قبل دخول الشتاء؛ إلا أن صلة "قسد" مع حزب العمال الكردستاني قد تتسبب بإغلاق الأتراك الطرق أمام تدفق البضائع للرقة، إذ تعتبر أنقرة أن "قسد" تمثل تهديداً كبيراً لأمنها، وتتجه نحو مهاجمة المناطق الخاضعة للسيطرة الكردية بدلاً من المساعدة في إعادة إعمارها، ولا يبدو إقليم كردستان العراق في موقع يسمح له بالقيام بمهمة الإمداد، إذ يقف البرزاني موقف خصومة شرسة مع حزب العمال، وفي ظل إصراره على المضي في الاستفتاء؛ بادرت كل من تركيا وإيران إلى محاصرة الإقليم، فيما تحركت حكومة بغداد المركزية للسيطرة على المناطق المتنازع عليها والتي من ضمنها النقاط الحدودية التي كان من الممكن لقسد استغلالها للحصول على مواد إعادة الإعمار.

أما بالنسبة للأمريكان؛ فقد تحدثت واشنطن مراراً عن محدودية المواد غير الحربية التي يمكن تقديمها، مؤكدة أنها لن تنخرط في عملية إعادة إعمار طويلة الأمد.

وصرح أحد موظفي وزارة الخارجية الأمريكية لوكالة الصحافة الفرنسية قائلاً: "لن نبقى هنا إلى الأبد لكي نقوم بإصلاح الأمور وليس لدينا المال أو الرغبة لنقضي عشرين عاماً ونحن نقوم بتطهير الألغام". فالأمريكيون مقيدون بحاجتهم لموازنة استثمارهم في تنظيم "قسد" مع علاقتهم بتركيا الغاضبة، وهي حليف لهم في الناتو، ولا ترغب في أن تتحول هذه المسألة الخلافية داخل الإدارة الأمريكية إلى أزمة بين مؤسسات الحكم، خاصة وأن رفع صور أوجلان على دوار النعيم قد تسبب بإحراج كبير لواشنطن، وقد أكد نيكولاس هيراس من معهد "الأمن الأمريكي الجديد" وجود: "نقاش محتدم في أروقة الحكومة الأمريكية بشأن إذا ما كانت قسد أو العناصر الكردية داخلها تستطيع أن تمارس إدارة مستدامة في فترة ما بعد القضاء على حكم داعش"، مشيراً إلى أن رفع صور أوجلان في الرقة قد جاء: "على نحو غير متوقع وفي الوقت الخاطئ"، مما شكل إحراجاً كبيراً لكبار موظفي البنتاغون الذي يتبنون استمرار تقديم الولايات المتحدة الدعم لميلشيا "قسد".

دور الرياض

ورأى لوند أنه قد يكون من الممكن "تسليك" الانسداد بواشنطن من دفع الرياض وأبو ظبي لدفع المال اللازم لإعمار الرقة، فقد قام وزير الدولة السعودي لشؤون الخليج العربي ثامر السبهان بزيارة مجلس الرقة المدني في عين عيسى برفقة المبعوث الأمريكي الخاص لتحالف محاربة "داعش" بریت ماغورك، ووفقاً للصحفي الهولندي فالديمر فان فلغنبرغ -الذي كان حاضراً بموقع الزيارة في عين عيسى- فإن الاجتماعات دارت حول تمويل إعادة إعمار الرقة، ويبدو أن زيارة السبهان قد جاءت بهدف الاطلاع على المتكلمات اللازمة، دون مؤشرات قريبة على إمكانية تدفق الدعم السعودي. وأكد بروار محمد علي أن ماغورك قد جاء برفقة بعض المسؤولين السعوديين "لكن دون أن نلمس شيء فإلى، الآن لا تزال الأمور محصورة على إطلاق الوعود".

وبينما تبدو مسألة جذب الدول الخليجية لإعادة الإعمار غنيمة كبرى بالنسبة لقوات "قسد" فإن المسألة تخفي في طياتها مخاطر كبيرة بالنسبة لهم، فالدول العربية السنية المحافظة: وعلى رأسها الرياض وأبوظبي كانت قد شكلت صورة قائمة حول طموحات أكراد سوريا، ويبدو أنهم لا يستسيغون حزب العمال الكردستاني ذو التوجه الاشتراكي النسوي، لكن مصالحهم تتلاقى مع الأكراد في مواجهة تحالف تركيا مع قطر، وسيشكل دعم أكراد سوريا خنجراً في الخاصرة التركية وكذلك الإيرانية، إلا إنه من الممكن أن يتوقف ذلك الدعم في حال حلحلة الخلافات بين دول مجلس التعاون مع تركيا، أ، في حال تقارب "قسد" مع دمشق.

عقبات في الطريق إلى دمشق

تعتبر مسألة تقارب قسد مع نظام دمشق من الأمور المشكّلة، حيث يرى أكراد سوريا أن علاقتهم بالأسد شر لا بد منه لضمان استمرار مشروعهم في الشمال، ومع تقدم النظام شرقاً في طريق سيطرته على المدن الصحراوية وأقول نجم

"خلافة" داعش؛ سيستمر النظام في تجنب الاصطدام مع "قسد"، خاصة وأن روسيا والولايات المتحدة تعملان على تجنب الاصطدام بين حلفائهما، لكن تلك الجهود قد تتقوض في ظل انتعاش آمال الأسد بالبقاء في السلطة وإمكانية بسط سيطرته على المزيد من الأرض.

ومع كون تركيا عدواً لا يهادن، وإقليم كردستان العراق حليفاً غير موثوق؛ فإن واشنطن تبدو غير راغبة في تثبيت قدميها على الأرض، ولا تظهر اهتماماً كبيراً بإعادة الإعمار، الأمر الذي سيجعل من نظام دمشق النافذة الوحيدة لأكراد سوريا نحو العالم، حيث يمتلك الأسد جزءاً كبيراً من الحدود والمطارات والبنى التحتية والإمكانات البيروقراطية والاقتصاد والخدمات العامة والرواتب، ويستحوذ على حصة كبيرة من المساعدات التي تقدمها الأمم المتحدة، وقد يجد قادة "قسد" أنفسهم مضطرين للاستفادة من النظام، حيث أكد المتحدث باسم "قسد" بروار محمد علي أن قواته: "بحاجة للتفاوض مستقبلاً مع النظام السوري وفي حال هاجمونا سندافع عن أنفسنا لكننا جاهزون للحدث والتفاوض مع أي كان".

وعلى الرغم من أن التدخل الروسي وتلاشي الدعم الخارجي لمعارضى الأسد يصبان في مصلحة النظام؛ إلا أن محاولة "قسد" التقارب مع الأسد ومع حلفائه الإيرانيين سينهي أمل الأكراد بالحصول على التمويل الإماراتي-السعودي، وذلك في ظل اقتصار تركيز واشنطن على سحق "الجهاديين" وإهمالها ما تبقى من ملفات أخرى عالقة.

وفي ظل الفراغ المطبق؛ تبقى العديد من الأسئلة العالقة والتي تحتاج إلى توفير إجابات سريعة، إلا أن الواضح في الوقت الحالي هو توجه الأزمة السورية نحو المزيد من التعقيد نتيجة المباحكات الدولية، ولا شك في أن مسألة إعمار الرقة ليست استثناءً في تلك الحالة المبهمة.